النشاط الثقافي في الغرب

جائزة الناشرين العالمية

يذكر القراء ان عددا من كبار الناشرين في العالم (١) كانوا قد انشأوا منذ عامين جائزتين ادبيتين كبيرتين قيمة كل منهما عشرة الاف دولار ، تدعى الاولى جائزة فورمنتور (وهو اسم جزيرة تقع على الشاطيء الاسباني الغربي) ويمنحها الناشرون لمخطوطة لم تنشر ، والثانية جائزة الادب العالمية ويمنحها الادباء لاي اديب في العالم يأخذ معظم اصوات اللجنة التي تجتمع لهذا الشأن .

وقد اجتمع الناشرون والادباء هذا الشهر في مدينة كورفو ، وهي احدى الجزر اليونانية ، لمنح هاتين الجائزتين الكبيرتين اما لماذا اجتمعوا في كورفو باليونان بدلا من فورمنتور باسبانيا ، فلان السلطات الاسبانية منعت الناشر الايطالي اينودي من دخول اسبانيا لانه نشر كتابا بعنوان « اناشيد لمقاومة اسبانية جديدة » ، فقرر الناشرون مانحو الجائزة ان ينتقلوا الى اليونان ، وان ظلت الجائزة تسمى باسم « جائزة فورمنتور».

وقد اجتمع الادباء والناشرون في فندق يقع على شاطىء البحر ، على بعد عشرين كيلو مترا من كورفو . وكان بين ايدي الناشرين عدد كبير من المخطوطات ، ولكن التنافس انحصر اخيرا بين مؤلفين من بيرو والولايات المتحدة وفرنسا . وعقد الناشرون ثلاثة اجتماعات ، ثم منحوا جائزتهم الى جورج سامبرون SEMPRUN وهو ابن دبلوماسي جمهوري اسباني عاش في فرنسا ودخل حركة المقاومة ثم اعتقله النازيون ونقلوه الى المانيا . وكتابه يروي قصة رحلته ، وهو معتقل ، في شاحنة ملأى بالماشية متجهة نحو المانيا . وعنوان المخطوطة « الرحلة الكبيرة » Le grand Voyage وهي ستطبع في ثلاث عشرة لغة وستنشر قبل انقضاء هذا العام .

اما الادباء والنقاد فقد احتاجوا الى خمسة اجتماعات ليمنحوا جائزتهم . وقد انتخبوا رئيسة لهم الروائية الانكليزية المشهورة ايريس مردوخ (مؤلفة « في الشبكة » و « مياه الاثم ») ونائبا للرئيسة جان بولان عضو الاكاديمية الفرنسية. وقد اظهرت ايريس مردوخ براعة كبيرة في ادارة الجلسات . وفي اثناء المناقشات برزت اسماء عدد من الادباء الالمان والهنغاريين والسلافيين والسكندنافيين امثال : تيبور ديري من هنغاريا ، وويتولد غومبرويز من بولونيا ، وفيجو ميري من فنلندا . وهذه المناقشات هي التي تمنح هذا المؤتمر الادبي اهميته وقيمته على الصعيد العالمي ، باعتبار ان الاحاديث علنية ويحضرها صحفيون من العالم كله ، وهي تتيح ابراز اسماء ادباء مغمورين .

وتحدث المجتمعون عن اديبين روسيين هما ايوري كازاكوف والكسندر سولجانتسين . وقد كان من الممكن لهذا الاخير ان ينال الجائزة ، ولكن هانس ماير استاذ جامعة ليبيزغ بالمانيا الشرقية الذي كان المفروض ان يقدمه ويتحدث عنه لم يستطع حضور المناقشات لاسباب خاصة . ولم يستطع ماوين لاسكي مدير مجلة « انكاونتر » ـ التي تصدرها منظمة حرية الثقافة في بريطانيا ـ ان يقنع الحضور باختيار سولجانتسين للجائزة .

---

(١) هم دار بارال (اسبانيا) ودار اينودي (ايطاليا) وغاليمار (فرنسا) وغروف بريس (الولايات المتحدة) ونيكلسون دوايدفيلد (بريطانيا) ورووولت (المانيا) وسواها . وقد بلغ عدد الناشرين المشتركين بمنح هذه الجائزة ١٣ ناشرا هذا العام .

اما في الادب الانكليزي ، الذي يهمله الان حتى الانكليز انفسهم ، فقد رشح ميشال مور الكاتب المعروف فلاديمير نابوكوف ، بينما انحاز روجيه كايوا الى اليجو كاربانتييه .

اما في الادب الفرنسي ، فقد ذهب ميشال بوتور الى ان التجارب الروائية الفرنسية الجديدة هي اغنى من ان يمكن اختيار احداها بسهولة. والواقع انه كان ثمة اكثر من ستة اسماء فرنسية مرشحة للجائزة من قبل الوفود المختلفة، ومن هؤلاء كلود سيمون ، ومرغريت دورا، واندريه بيار دو ماندرياغ ، ومارسيل جوهاندو وروبير بنجيه . وقد وقع الارتباك الشديد في اختيار احد هؤلاء ، ولكن المجتمعين عادوا فتذكروا ان هدف « الجائزة العالمية » ليس هو على الاطلاق « التكريس » ، على غرار جائزة نوبل ، وانما هو تتويج عمل ادبي متطور متقدم . ولعل اجدر من ينطبق عليه هذا الهدف هو الكاتب الايطالي كارلو اميليو غادا GADDA الذي رشحه الوفد الايطالي ، وهو يبلغ السبعين من العمر .

وقد اثير في هذه المناسبة موضوع هام : هل ماتت الرواية الكلاسيكية ؟ اتكون قد حلت محلها نهائيا تلك الالوان المختلفة مما يسمى بالرواية « الجديدة » هذه التي يتزعمها الادب الفرنسي اليوم ؟

من المفيد ان نلاحظ ان كثيرين من اعضاء الوفود كانوا يلحون وهم يقدمون مرشحيهم على اظهار القرابة بينهم وبين كتاب الرواية الجديدة الفرنسية . وقد كان هذا شأن ميري ، بل وحتى شأن نابوكوف في روايته الاخيرة « النار الصفراء » التي وصفت بانها رواية تجريبية .

كارلو اميليو غادا

وقد تولى الكاتب الايطالي المعروف ايليو فيتوريني توضيح هذه النقطة ، فذكر ان هناك في رأيه ادبين : الادب « الشرياني » وهو الادب الوحيد الهام ، والادب الذي ليس له الا وظيفة « وريدية » . ويمكن لهذا النوع الاخير ان يضم كتابا كبارا ، غير ان اصحاب الادب الاول هم الذين يقدمون مايسميه فيتوريني « ادب وسائل الانتاج » على حد التعبير الماركسي ، بينما يكتفي الاخرون بتقديم « وسائل للاستهلاك » . وهو يرى ان هناك اثنين فقط ، ممن نوقش ادبهم في كورتو ، يمثلان ذلك المفهوم للادب العظيم : هما كارلو اميليو غادا والان روب غرييه . وقد رد بولان عليه بان هذين المفهومين هما نسبيان اكثر مما يظر فيتوريني.

وحين عمد المجتمعون الى التصويت اخذ اعضاء الوفد الايطالي يتحدثون جميعا عن غادا . وفي الدورة الاولى اخذ كلود سيمون وريتشار هيوز وفيجو ميري اصواتا عديدة ، ولكن تفوق عليهم غادا ونابوكوف وكاربانتييه . وما لبث هذا الاخير وهو اكثرهم كلاسيكية ان اختفى في التصويت الثاني ، ثم اختفى نابوكوف الذي لعبت شهرته ولا شك لغير مصلحته ، اذ ان الالحاح على ان رواياته الاخرى اكثر قيمة من « لوليتا » لم يعد عليه بالفائدة . وهكذا فاز غادا في اخر المطاف .

ولعل المؤتمرين سيلتقون في العام الماضي بغادا في كورفو . اما هذا العام ، فقد حضر الكاتب الالماني دي جونسون الذي نال جائزة فورمنتور في العام الماضي . ولكن جونسون لم يكن راضيا عن الفندق الفخم الذي نزل فيه الادباء ، وهو فندق « الاشيليون » الذي كانت تنزل فيه امبراطورة النمسا اليزابيت المسماة « بامبراطورة الوحدة ». لقد وجده باذخا جدا واعتبر هذا الترف في ذلك « المهرجان » الادبي اهانة للادباء الفقراء ، فقدم استقالته من اللجنة ..

.....

سيرة أديب عبقري : بافيز

ولد الكاتب الايطالي الشهير سيزار بافيز PAVESE عام ١٩٠٨ في منطقة متوحشة من البياموت وسط تلال تغطيها الدوالي والقصب، وانتحر عام ١٩٥٠ في غرفة فندق بمدينة تورينو . وكان قد اصدر زهاء اثني عشر كتابا فيها الشعر والدراسة والقصص والرواية . وقد نالت اخر رواية له احدى الجوائز الايطالية الكبرى .

ما سبب انتحار هذا الرجل وهو في اوج مجده ؟ لقد ذكرت عدة أسباب عندما وقع حادث الانتحار : منها الخيبة السياسية « كان بافيز قد قطع علاقته بالحزب الشيوعي الذي كان منضما اليه » والخيبة العاطفية . ويكفي بالفعل ان يقرأ أحدنا الصفحات الاولى من « يومياته » التي نشرت بعد موته ، وقد بدأها عام ١٩٣٦ ، ليعرف ان فكرة الانتحار كانت مستولية عليه ، وهو ما يزال في الثامنة والعشرين ، وكانت مرتكزة على الشعور بانه مصاب بعاهة جنسية .

وقد صدرت اليوم سيرة سيزار بافيز مكتوبة بقلم صديقه النائب الشيوعي دافيد لاجولو ، وهي تلقي اضواء جديدة على حياة هذا الكاتب ومؤلفاته .

كان بافيز في السادسة حين فقد اباه ، وكانت تربيه ام طهرية ذات سلطة مقسورة على مزيد من القسوة بسبب ضيق ذات اليد. وقد علمنا علماء النفس العصريون ان نرى في هذا الطراز من التربية الاصول العاطفية لما كان معتبرا في الماضي اضطرابات في البنية . ويبدو ان عجز بافيز الجنسي ، الذي هو مفتاح حياته وكتبه ، لم يكن له من سبب سوى تشبث عنيف وطويل بامه ،تشبثغير واع لعب دور المانع في كل علاقاته الغرامية .

ومن الممتع متابعة تشكل هذا العجز وتقدمه ، لانه ليست عاهة غريبة على البشرية بقدر ما هو ممثل لخصائص مشتركة بين الاف القراء . ان عجز بافيز يشبه داء الصرع الذي كان دستويفسكي مصابا به : فمن المستحيل التحدث عنه كما نتحدث عن شكل انفه او لون شعره ما لم نربطه بمجموع بنيته النفسية المتحركة المعقدة .

وقد حدث لبافيز وهو في الرابعة عشرة اول حادث غريب. فقد احب رفيقة له في الصف تدعى اولغا ، ولم يكن يجرؤ على ان يوجه لها الحديث . كان حبه نوعا منالفكرة الثابتة الصامتة كان يحاول انيتخلص منه بالقيام بنزهات طويلة مع رفاقه على شاطىء نهر البو . وذات يوم توقف امام قارب يحمل اسما مكتوبا بالاحمر ، فامتقع لونه فجاة وسقط مغمى عليه . وكان الاسم : اولغا .

هذه هي الحادثة كما اوردها لاجولو . فلنحاول ان نفسرها (١) ولنفكر بوضع بافيز الذي ربته ام متوحدة قاسية دفعته لان يضطلع قبل الاوان بما يضطلع به البالغ الراشد ، وكان مذعورا لدى التفكير بانه لن يستطيع النجاح في ذلك ، وظل طوال حياته فيما بعد تحت وطاة هذا الذعر من الاخفاق . ولنفكر ايضا في طهرية امه وفي رغبة بافيز المعقولة بالا يزعجها حين يهتم بالنساء اهتماما مبالغا فيه . ان هذا يفسر حذر بافيز تجاه التزاماته العاطفية ، وصمته بالقرب من اولغا . ونضيف الى هذين السببين شعوره بانه قبيح ، وبانه مريض «الربو » وبانه يظهر بمظهر الارتباك والخرق وانه مغرق في قرويته اغراقا يمتنع معه ان يفتن فتاة من المدينة ، وهكذا نستطيع ان نفهم بلا مشقة قلق بافيز الكبير وهو في غرامه الاول . وقد كان بوسعه ان يتغلب على عقده الجسمية والاجتماعية « التي الح عليها لاجولو الحاحا كبيرا » لو لم تكن فكرة حبه لامرأة ملوثة ، من جراء تعلقه بامه ، بشعور كثيف من الذنب. ان الانسان الذي يعيش في حالة دونية طبيعية يستطيع دائما ان يقلب الحظ ، اما اذا كان في حالة دونية وفي احساس بالذنب ، فانه لا يبقى امامه الا ان يتخلى ويستقيل...

والحق ان اغماء بافيز لرؤيه القارب الذي كان يحمل اسم اولغا هو التعبير الرمزي عن هذا التخلي . فهو بعد فقدان استعمال الكلام ، كان يفقد استعمال الحواس . وحين جعله هذا الاغماء مدركا لضعف جديد فيه ، لعاهة جديدة ، قوّى خجله وحمله على ان يخشى اليوم الذي ينبغي ان يقوم فيه بتجاربه ، لا امام اسم محبوبته المكتوب علىطرف قارب ، بل امامها هي نفسها حية من لحم ودم : انه في ذلك اليوم سيفقد من غير شك جميع وسائله . ولم يكن بينه وبين خوفه هذا من الافلاس الا خطوة واحدة . وهكذا فان خشيته من ان يعدل عن حب امه دفعته الى الامتناع عن حب اولغا، وقد كان من شأن هذه الرقابةالذاتية على العاطفة الغرامية ، اذ منعت بافيز من ان يكون له سلوك منسجم مع هذه العاطفة ، ان تركته مشلولا ، مقتنعا بانه لن يبلغ ابدا غاياته ، وهذا الاقتناع منعه بدوره منان يبلغ هذه الغايات حقا . وهكذا ينبغي الا نرى في عجز بافيز الا مغالاة في خجله وحيائه.

ربما كانت هذه المحاكمات تبدو معقدة اذا تذكرنا ان القضية قضية

(١) راجع مقال دومينيك فرناندز في جريدة «اكسبريس»الفرنسية تاريخ ٢-٥-٦٣ .

كتابان خطيران

عارنا في الجزائر — لجان بول سارتر

الجلادون — لهنري اليغ

ترجمة عايدة وسهيل ادريس

دار الاداب

فتى في الخامسة عشرة . ولكن مغامرات بافيز المتتالية « في السابعة عشرة غرام جديد مع راقصة حانة : وقد حصل على موعد منها عند باب الحانة التي تعمل فيها ، ولكنها لم تجيء في الساعة المحددة ، فانتظر طوال ست ساعات ، تحت المطر ، من غير ان يجرؤ على دخول الحانة، متيحا لها ان تخرج من باب اخر ، مع معجب اخر بها . النتيجة : اصابته بنزلة صدرية الزمته الفراش شهرين . ثم اتى بعد ذلك ، بعد سنوات، حبه العظيم الشهير « للمرأة ذات الصوت الابح » التي انتهى بها الامر الى ان تتزوج غيره ، حتى من غير ان تخبره .. » هذه المغامرات المتتابعة تثبت ان جميع هزائمه كرجل صادرة عن شعور انهزامي صميمي خلفته فيه سنوات طفولته . ويكفي لهذه الغاية مطالعة رسائله المدرسية، وهي شهادة مثيرة عن قلق هذا الفتى وهو على عتبة الحياة ، وقد استولى عليه شعوره بالعجز ، والخوف من الاحتضار والانتحار .

على اننا ينبغي الا نرى في بافيز انسانا ضعيفا . لقد قاوم مقاومة ضارية نزوعه نحو الموت ، نحو «شره اللامعقول» كما كان يسميه. وكان واحدا من اعمق المثقفين في عصره ، وقد عين مديرا ادبيا لدار النشر الكبرى اينودي في مدينة تورينو ، وترجم وقدم للجمهور الايطالي ، في ابان العهد الفاشيستي ، الروائيين الاميركيين من ملفيل الى فوكنر، بل هو لم يتردد في التعاون مع جماعات مناهضة للفاشية ، وحكم عليه بالنفي ستة اشهر في كالابر ، وظل على اتصال وثيق باوساط المعارضة. ولكن في اللحظة الحاسمة ، أي حين وجب عليه ان يدفع من شخصه، انحنى بافيز و « انكسر »، وهناك نواحي شبه غريبة بين سلوكه السياسي وسلوكه الغرامي .

حين حمل الانصار في الشمال الايطالي السلاح بعد هدنة ١٩٤٣ ضد جنود الاحتلال الالمان ، ودخل جميع اصدقاء بافيز تقريبا حركة المقاومة ، بما فيهم تلميذه غاسبار باجيتا ، وكان في السادسة عشرة من عمره ، وكان يردد له : « تذكر ان المرء لا يكون ايطاليا حقيقيا اذا لم يقتل المانيا » ، هرب بافيز الى التلال واقام فيها بدلا من ان ينضم الى حركة المقاومة ، ولم يهبط منها الا بعد عشرين شهرا ، بعد التحرير. وعلم في تورينو أن كثيرا من اصدقائه قد ماتوا في المعركة ، ومنهم الفتى غاسبار . ويجب ان نعتبر انضمامه الى الحزب الشيوعي ، بعد ذلك، حركة تكفير . ولكن أتى لهذا القرار المفرق في تجريديته ان يستطيع تهدئة شعور بالذنب الذي بدأ يدفعه الى ما يشبه التحريض بالانتحار؟

اننا نفهم ، في ضوء سيرة بافيز ، بان انتاجه لم يكن الا جهدا ضخما لعقلنة نقائصه والوان فشله . فرواياته وقصصه تسيطر عليها رؤية سادية ماسوشية لاستحالة المزاوجة . ان عدم قابلية طبيعة المرأة والرجل للاتصال تحكم عليهما بعلاقة عنف هجومي . فالمرأة هي قبل كل شيء الجسد كله ، بما فيه من عري وخامية وانفلاق دون الشعور والوعي ، كالحجر . فماذا يبقى على الرجل ان يفعله ان لم يكن قتل هذا الجسد بالانتهاك والوحشية والاماتة ؟ لقد كتب بافيز في روايته الاخيرة « القمر ونيران الفرح » يقول : « سيأتي يوم يعمد فيه الرجل، لكي يلمس شيئا ما ، ولكي يعرف الناس به ، الى ان يخنق المرأة، او يطلق عليها النار وهي نائمة ، او يحطم رأسها بمفتاح انكليزي » . وقال: « ان النساء يجعلن الرجل مجنونا ، ولكنهن يدفعن ثمن ذلك غاليا : فبعضهن ينتحرن ، وبعضهن يُقتلن ، والناجيات منهن يسقطن في بلاهة زواج مضحك وابتذاله » . والملاحظة التالية الواردة في « يوميات » بافيز ، نموذجية : « ان المرأة التي ليست هي بلهاء ستلتقي عاجلا او آجلا بحطام بشري وتجهد في استنقاذه . ولكن المرأة التي ليست هي بلهاء ستجد رجلا سليما فتجعل منه حطاما. وهي تنجح في ذلك دائما ».

غير ان جميع العلاقات البشرية في عالم بافيز ليست مدموغة بطابع العنف الهجومي . فالى جانب موضوع الحب القوي ، هناك موضوع الرفقة الضعيف . ان المرء ليندس في الحياة محاطا بالرفاق فيتيه معهم في الليل ، متسكعين من نزل الى نزل ، ومن تلة الى تلة . استعداد مهدور وتسكع لا مخرج له: ويسمي بافيز هذه العلاقة اللزجة مع الاخرين « خفة » ويصورها تصويرا معجبا .

وهناك طريق واحد الى المخرج في روايات بافيز : هو ترك الناس جميعا ، وترك المدينة ، والانعزال في الارياف ، والاستسلام للاحلام الخفية بين التلال الخصبة . ان الوحدة الريفية وحدة سعيدة ، والانسان الذي يتأمل حقل القمح لا يحس بأي حسرة على ان يكون مبعدا عن العلاقات البشرية . ثم ان الريف كان ، بالنسبة لبافيز ، مطرح طفولته. فلا غرو ان يكون قد وصف ، عبر انتاجه ، هذا الموضوع المزدوج للطبيعة والماضي ، بل هو قد اضفى عليه ميثولوجية قريبة من ميثولوجية بروست . وهو يقول « ان عالم الطفولة الحقلي يشكل كنزا من الاحداث تنتزعه قيمة فريدة من السببية الطبيعية وتعزله وسط الواقع الحقيقي» وابتعاث هذه الذكريات وتعميق معناها هو ما بدا لبافيز ، اكثر فاكثر، « مهنة الحياة » الوحيدة الجديرة بالتقدير .

ان كل انسان مغلق في عالم مستقل ذاتي ورثه عن صباه المبكر. وكل حركة يأتيها حقا ـ بقوة الاعتقاد الصميمي ، بمعزل عن كل اضطراب مبتذل ـ ليست الا ترديدا لنغمة قديمة جدا . وكانت مثل هذه الفلسفة تستطيع ان تبرر لبافيز كبته الجنسي والاجتماعي وتستهين مقدما بجميع الجهود التي بذلها للافلات من وضعه كانسان محجوز بين جدران . لقد نقل الفنى وتنوع الحياة من العالم الحالي الى العالم الماضي ، من العالم الخارجي الى العالم الداخلي ، من حقل التنافس والتصارع البشري المشترك ، الى القطاع المحروس من الوعي الفردي . ولعل هذه الفلسفة قد ساعدته على ان يعيش ، وعلى ان يكون اقل شقاء وبؤسا . ولكنها كانت وسيلة خطرة ، نوعا من الانعزال السابق لاوانه ، وتعجيلا يكاد يكون مكشوفا للانتحار .

وتبقى هناك صفحات رائعة من التأمل العميق ، وصوت منخفض أبح، يوشك ان يختنق بين لحظة واخرى. ويتبدى بافيز في تأثره باميال وبودلير وكيركيغار ودريو لاروشيل شاهدا نموذجيا لعصرنا . ويبدو انتاجه نزوعا مزدوجا نحو معرفة موضوعية « الحب ، الاخرون » ونحو نشوة ذاتية « الوحدة ، الموت » . وهو يأتي في رفضه وتمجيده للانسان الداخلي معا على ملتقى طرق الاداب الواقعية والاداب الفردية ، وهذا ما يشير الى أهميته في تاريخ الانتاج الشعري لمعاصر .

ان بافيز هو منذ بيراندللو اكثر ادباء ايطاليا شمولية وعالمية ، ولعله الوحيد الذي يستطيع ان يحظى بجمهور واسع في بلده وفي الخارج معا : انه بالاختصار اديب كلاسيكي.

صدر حديثا :

تأليف فرانز فانون

معذبو الارض

ترجمة

الدكتور سامي الدروبي ـ الدكتور جمال الاتاسي

دار الطليعة ـ بيروت ص.ب ١٨١٣